محمد بنطلحة

أَيتها الـهاوي

لماذا لم تخرّدن بالعشرات؟

١ دَعْكَ مِنْهَا ــ
دَعِ الجكرَنْدَة
دَعْهَا
عَلَى غَيْرِ
مَا هِيَ
فَالشِّرَاعُ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ
وَالشَّكُّ قِنْدِيلٌ تَحْفُرُهُ الرُّؤَى
تَحْتَ الرِّيشِ
بِالأَصْبُعِ المُرْتَجِفِ
قِيلَ
هَذِهِ رُسُومٌ
يَحُولُ تَدَفُّقُ المَاءِ فِيهَا
دُونَ أَنْ يُغْمِضَ حَارِسُ المَتْحَفِ
عَيْنَيْهِيَا مَاءُ قُلْ مَا وَرَاءَكَ
تُرْجُمَانَةُ الأَشْوَاقِ
مِنْ فَمِهَا
مِنْ فَمِ القِنِّيْنَةِ العَابِرَةِ لِلْمُحِيطَاتِ
أَسْتَلُّ جُرْعَةً مَدْعُوكَةً
عُنْوَةً
أَسْتَلُّهَا
بِمِنْقَارٍ مُلْتَهِبٍ
فَإِذَا بِي نَوْرَسٌ عَائِدٌ
وإِذَا بِالخَلْجَانِ
حُرُوفِي
٢ ثَمَّةَ
حَيْثُ الأَرْضُ
أَوْ هِيَ مِنْ فَرَاشَةٍ
لَمْ
يَكُنِ الحِبْرُ
بَعْدُ
كَانَ مَا رَأَيْنَاهُ بِأَفْوَاهِنَا
ثَلْجاً
هَائِجاً
وَزَهْرَةَ ثَلْجٍ
تَتَذَكَّرُ كُلَّمَا دَاهَمَهَا رُعَافٌ حادٌّ
أَنَّهَا فِي الأَصْلِ غَابَةٌ
مِنَ الرُّمَّانْ
دَمِي
هُوَ الآخَرُ
كَانْ
ثُمَّ
مَا لَبِثَ
أَنْ أَوْشَكَ عَلَى أَشْرِعَةٍ
لَنْ أَقُولَ أَبداً
رَافَّةً بِهَا
لاَ لِشَيْءٍ
فَقَطْ
كَيْ أَنْشُرَ
حَيْثُما أَخَذَ المَكَانُ يَسِيرُ
عَلَى
قَدَمَيَّ
زَجْوَمَثْوَاهُ
وِشَايَةَ الطُّرُفَاتِ بِالأَخْذِيَةِ
بَيْنَ أَوْسَاطِ إِسْكَافِيِّينَ بِأَيْدِينَ
مَا فَتِئُوا يَتَذَوَّقُونَ
فِي مَدَافِنَ
مِيٍ
فِضَّةٍ
مَغْشُوشَةٍ
رَوْثَ العِلَّةِ الأَوْلَى
هَكَذَا
لَنْ
أُضَلِّلَ
غَيْرَ حُرَّاسِ المَاءِ
وَلَنْ أَسْرُدَ عَلَى مَسَامِعِ العَطَشِ
بَيْتَوى حُنْجُرَةِ الحَجَارَةِ
هَكَذَا.. دَائِماً
أَمَّا
حِينَمَا تَقَعُ
فِرَاخُ القَيْلُولَةِ
فِي شِبَاءِ الضَّوْءِ
وَحِينَمَا تَؤُولُ كَأْسُ العَابِرِ
إِلَى عَبِيدِيْ
فَمَاذَا يَضِيرُنِي
إِنْ فَمِ البُرْكَانِ
أَوْ أَنَا تَرَكْتُ المَاءَ وَاقِفاً
عَلَى قَدَمٍ وَاحِدَةٍ
فِي حُلُمِ بَحَّارٍ
أَعْمَى
حِدَاداً عَلَى
خُلُودِ العُشْبِ
إِلَى الرَّاحَةِ
سَوْفَ
أَنْثُرُ بَاقَةً
مِنْ طَوَاحِينِ الهَوَاءِ
فَوْقَ شِفَاهِ كُلِّ مَوْجَةٍ
لاَ تُشْبِهُ نَفْسَهَا
إِذَنْ هَذَا مَصَادِي
سَلَّةٌ
تَهُزُّ أَكْتَافَهَا
عَلَى العِنَبِ
خِلْسَةً
كَأَنَّ الزَّبَدَ
كَلاَمُ المَوْتَى
بَلْ
كَأَنَّ
فِنْجَانِي
مَا عَادَ فِي حَاجَةٍ
إِلَى نَصَائِحِ الرَّمَادِ
هوَ جَوْهَرُ الرَّمَادِ
فَرِيسَتُهُ
قَوْلُهُ الأَخِيرُ
وَنَعْلُهُ المَنْسِيُّ
تَحْتَ مَقْعَدٍ ظَلَّ شَاغِراً
فِي حَانَةِ العُمْيَانِ
عِنْدَ نِصْفِ المَسَافَةِ
أَوَّلُ المَوْتَى
تَوَخَّى أَنْ أُعِيرَهُ
جُثَّتِي
يَا إِلَهِي
قَبْلَ حِينٍ قَبْلَ أَنْ يَرْكَلَ شَحَّاذٌ عَجُوزٌ
جُمْجُمَةَ المَدَى
كَانَتِ العَرَاتُ دَنَانِيرَ
مِنْ
زَبَدٍ
خَاثِرٍ
وَكَانَ الرَّنِينُ المُحَنَّكُ
سَكَّاكِينَ مَغْرُوزَةً عَلَى مَهَلٍ
فِي عُنُقِ الصَّدَى
تِلْكَ فَاكِهَةُ الغِيَابِ
تُوَيْجَاتٌ
لاَ تَعْرِفُ أَنَّهَا تُوَيْجَاتٌ
إِلاَّ لاَحِقاً.. عِنْدَمَا يَصِيرُ الكَلاَمُ
أُفْيُوناً مُبَاحاً
عِنْدَئِذٍ
سَوْفَ تَنْفَخُ
جُيُوبُ كُلَّ نَظْرَةٍ شَارِدَةٍ
بِعَشَرَاتِ الجُزُرِ التي يَنْمُو
عَلَى
أَطْرَافِهَا
قَصَبُ السَّبَقِ

سَوْفَ
يَحْمَرُّ
جِلْدُ الوَرَقِ الاَمْلَسِ
كُلَّمَا حَكَكْتَاهُ
بِأَيْدِيْنَا
وَلَسَوْفَ تَلْمَعُ
تَحْتَ إِبْطِ الطَّبِيعَةِ
مَرَافِئُ تُشْبِهُ أَحْذِيَةَ الجَزَّارِينَ
نَاهِيكَ
عَنْ عُصْفُورٍ
يَسْتَيْقِظُ فَجْأَةً
عَلَى فَحِيحِ الاَبَاجُورَةِ
بَيْنَ شَرَارَتَيْنِ
قَلَّ
أَنْ يَصِيرَ لِلْفَرَاشَةِ
جَسَدُ امْرَأَةٍ
إِلَى
مَا
لاَ
نِهَايَةَ
دُونَ أَنْ تَصْهَلَ هَذِهِ الحَوَاسُّ
تَحْتَ سِيَاطِ الاَرَقِ
مَا هَذِهِ الحَبْكَةُ
أُرْغُنٌ
تَعُدُّ جُرُوحُ الغُدَدِ الصَّمَّاءِ
عَلَى يَدَيْهِ
عَذَارَى
مُنْذُ أَنْ
أَخْرَجَ السَّدِيمُ كُنْغُراً حَيّاً
مِنْ قُبَّعَتِهِ
لَمْ يَعُدْ
لِلْمَعَانِ المُقَيَّدِ
عِنْدَ أَسْفَلِ الحَائِطِ
مِنْ لِسَانِهِ
مَا يَقِيسُ
بِهِ
نَفْسَهُ
سِوى

عُلْبَةٍ سَوْدَاءَ
هِيَ
بِالضَّرُورَةِ
تِلْكَ المُوْجَةُ التي
تَنْقُصُ البَحْرَ
حَتَّى
لَكَأَنَّهَا
أَعْلَى
مِنَ
اليَقْظَاتِ
رِيْحُ القَرَاصِنَةِ
فِي
ضَوْءٍ
مَا نَقَشَتْهُ
أَصَابِعُ العَتَمَاتِ
فَوْقَ بَيْضَةِ الدِّينَاصُورِ
أَنَّى لَهَا
أَنْ تَتَظَاهَرَ
بِإِنْقَاذِ نَجْمَةِ الشَّيْطَانِ
مِنَ الغَرَقِ
شِيزُوفْرِينْيَا
مَا هَمَّ
فَالنِّسْيَانُ سَفِينَةٌ مَثْقُوبَةٌ
وَالذَّاكِرَةُ
طُحْلُبٌ أَعْمَشُ
يَقْفِزُ عِنْدَ سَاحِلِ الفَجْرِ
حَوْلَ أَقْدَاحِهِ الخَاسِرَةْ
سُفُنٌ غَيْرُهَا
كَثِيراً
مَا تَوَهَّمَ نِيتُونُ
أَنَّهَا مُجَرَّدُ صِبْيَانٍ تَرْعَى
فِي رَأْسِ المُشْتَرِي
بَيْنَمَا هِيَ
عِنْدَ بَاعَةِ المَلاَبِسِ المُسْتَعْمَلَةِ
أَزْرَارٌ هَائِلَةٌ تَهْبِطُ عَلَيْهِمْ
بَيْنَ الفَيْنَةِ والأُخْرَى
مِنَ السَّمَاءِ
كُلَّمَا حَرَّكَتِ السُّجُنُ

أَكْمَامَهَا
قُنْفُذٌ
يُدِيرُ ظَهْرَهُ
لِلْبَحْرِ
مَاذَا
عَسَاهُ
فِي مَسَاءٍ كَهَذَا
أَنْ يَفْعَلَ
سِوَى أَنْ تَعْرُوَرِقَ عَيْنَاهُ
بِشَرْذِمَةٍ مِنَ الصَّنَانِيرِ
وَالحِيتَان
فِي مَسَاءٍ آخَرَ
أَوْسَعَ
مِنْ ظِلِّهِ
سَوْفَ يَصُولُ
عَلَى رِيشِ الدُّخَانِ
بِأَعْذَارِ الاَخْطَبُوطِ
ذَلِكَ البَحَّارُ ذَاتُهُ
بِأَقْدَامِهِ العَمْيَاءِ
هُوَ أَيْضاً مَنْ سَوْفَ يَنِشُّ
عِنْدَ مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ
ذُبَابَ الرُّغْبَةِ
عَنْ أُنُوفِ
لاَ
يَضَعُهَا
عَادَةً
إِلاَّ هُوَاةُ النَّوْمِ بِالمُرَاسَلَةِ
فَوْقَ وُجُوهِهِمْ
أَلَيْسَ اللَّيْلُ
أَقْصَرَ مِنَ الحُلُمِ
إِذَنْ
أَيُّ شَفَةٍ
سَوْفَ تُوَاخِي
بَيْنَ وَرْدَةِ العَدَمِ
وَأَقْفَالِهَا
ذُكَّارَةٌ بِأَسْرِهَا
لاَ
بُدَّ

أَنْ تَكُونَ
عَرْشَ طَائِرِ العُزْلَةِ
بُدُونِ مُنَازِعٍ
كَيْفَ لاَ
وَهِيَ التي تَقُودُ الإِبْطَ إِلَى رَائِحَتِهِ
وَالنُّطْفَةَ إِلَى مِعْرَاجِهَا
لَوْحَةٌ مَسْرُوقَةٌ
عَجَباً
سَمَاءٌ خَرْسَاءُ مِثْلُ هَذِهِ
مَابَالُهَا
فِي خِضَمِّ هَذَا المَزَادِ العَلَنِّي
مَافَتِئَتْ تَزْهُو عَلَيْنَا بِأَقْرَاطٍ مِنْ
مُقْتَنَيَاتِ سَمَاءٍ
أُخْرَى
قَلَمُ الأُنْثَى
مِنْ
عَسَلٍ
رُكْبَتَاهُ
وَلاَ يَدَّخِرُ أَحْلَى خَسَارَاتِهِ
إِلاَّ فِي جِرَارٍ مِنَ الرَّمَادِ

مقاطع من قصيدة طويلة بنفس العنوان

صدر حديثاً

الحي اللاتيني

رواية

سهيل ادريس

الطبعة الحادية عشرة

دار الآداب ــ بيروت